

الحوار

مركز الحوار السوري
Syrian Dialogue Center

مخاطر عودة "داعش" واستثمارات اللاعبين فيه

تقرير تحليلي صادر عن وحدة تحليل السياسات في مركز الحوار السوري

الجمعة 13 شوال 1441 هـ - 5 يونيو/حزيران 2020 م

مركز الحوار السوري

مؤسسة أهلية سورية تهدف إلى إحياء الحوار وتفعيله حول القضايا التي تهم الشعب السوري، وتسعى إلى توطيد العلاقات وتفعيل التعاون والتنسيق بين السوريين. أعلن عن تأسيس مركز الحوار السوري أواخر 2015م عقب عدة فعاليات حوارية في الشأن السوري. يتكون المركز من ثلاث وحدات موضوعية: وحدة الهوية المشتركة والتوافق، ووحدة تحليل السياسات، والوحدة المجتمعية.

إعداد وإشراف: د. محمد سالم
ساهم في العمل: علي فياض

وحدة تحليل السياسات

التاريخ:

13 شوال 1441 هـ - 5 يونيو / حزيران 2020 م



WWW.SYDIALOGUE.ORG

جدول المحتويات

2.....	الملخص
4.....	المقدمة
5.....	أولاً: فترة ما بعد الباغوز، زيادة نشاط داعش ومراكز عملياته
5.....	حرب العصابات والاستنزاف كاستراتيجية داعش الجديدة
5.....	مناطق عمليات التنظيم الأخيرة
6.....	ثانياً: احتمالات وملامح لعودة "داعش" الثانية في كلٍّ من العراق وسوريا
6.....	هل سنكون أمام دولة "خلافة" ثانية أم مجرد حرب استنزاف طويلة الأمد؟
7.....	قدرات عسكرية إعلامية ومالية ضخمة للتنظيم، قدرة على قلب الموازين من جديد
8.....	ثالثاً: استغلال الأزمات، أثر جائحة كورونا على مستقبل "داعش" وعلى الوجود الأجنبي
9.....	رابعاً: التوظيف الدولي في تنظيم "داعش"، آراء خبراء وباحثين
10.....	نشأة تنظيم الدولة "داعش"، الأسباب الموضوعية والذاتية
10.....	إشكالية الغاية من الحرب على الإرهاب
11.....	مشكلة الإرهاب وإشكالية اختيار الأدوات
12.....	تحول الإرهاب إلى ظاهرة قابلة للاستثمار والتوظيف
17.....	الخاتمة:

الملخص:

على الرغم من انحسار سيطرة تنظيم الدولة "داعش" عن المدن الكبرى التي كانت تقبع تحت حكمه "كالرقعة والموصل"، وبعد الحديث عن مقتل رأس التنظيم وامتزعه "أبو بكر البغدادي"، لُوحظ في الآونة الأخيرة ازدياداً كبيراً في تحركات ونشاط التنظيم، في إشارة واضحة إلى أنه ما زال يشكل خطراً على مختلف الأطراف المتصارعة في المنطقة، وعلى قدرته على التفاعل المرن مع المتغيرات المحيطة بالمنطقة.

تنظيم داعش الذي يحاول دائماً الاستفادة من الفوضى والأزمات لاستعادة سيطرته، يعود اليوم لتنفيذ ضرباته وهجماته في كلٍّ من العراق وسوريا بعد انتشار جائحة "كورونا المستجد"، الأمر الذي يبدو أنه قد يزداد في الفترات المقبلة مع انتشار الفيروس وتأثر الدول الفاعلة به، ومع سياسات الانكفاء العسكري التي أظهرتها الدول الفاعلة في الملفين السوري والعراقي في الأيام الأخيرة نتيجة انشغالها بملفاتها الداخلية وبالأزمة الاقتصادية التي يسببها انتشار الفيروس على أراضها.

إنّ الولايات المتحدة الأمريكية (القوة الرئيسة لقوات التحالف ضد تنظيم الدولة) التي استعانت في حربها على "داعش" بالمليشيات الشيعية والإيرانية "كقوات الحشد الشعبي، وحزب الله العراقي"، تعاني اليوم من أزمة مع هذه المليشيات التي باتت تشكل تهديداً حقيقياً فيما يبدو على مصالحها في العراق وسوريا، بعد المناوشات والقصف المتبادل بينهما على الأراضي العراقية، وهو ما بدا تنويعاً للتوترات الإيرانية الأمريكية بعد الانسحاب الأمريكي من الاتفاق النووي الإيراني، الأمر الذي يبدو أنه سيسهم في تعقيد المشهد إذا ما ازداد نشاط تنظيم "داعش" مرة أخرى دون توافق أمريكي - إيراني على الملف النووي والملفات الإقليمية، بالتالي، تبدو الظروف مهيأة إلى حد ما لعودة زيادة نشاط تنظيم "داعش"، على اعتبار أن التنظيم يمكن أن يستفيد من حالات الفوضى كبيئة مناسبة حاضنة لنشاطاته وعملياته، وهو الأمر الذي تتجه له الأمور في المنطقة تحت تأثير أسباب عدة، أولها انتشار فيروس كوفيد 19، إضافة إلى الظروف السياسية المتمثلة بعدم التوافق الأمريكي الإيراني عموماً بعد الانسحاب الأمريكي من الملف النووي الإيراني، وما أدى إليه ذلك من مناوشات بين الطرفين كان أبرزها حادثة مقتل سليمان.

على الرغم من وجود تأثير لعدة عوامل ذاتية أو خارجية في نشاط التنظيم، يبدو بأن عامل التأثير والاستثمار الخارجي هو الأكبر والأوفر حظاً في تحديد شدة عودة التنظيم وقدراته، فعلى الرغم من الفرص الذاتية المتاحة للتنظيم لاستخدام الهوامش التي توفرها ظروف انتشار الكوفيد 19، إلا أن استقرار الصعود الماضي لداعش يشير غالباً إلى أن التأثير الأكبر كان للعوامل الخارجية، خاصة ما حدث في مدينة الموصل من هجوم للتنظيم وحصوله على الأسلحة والأموال الطائلة، إضافة إلى حالات هروب السجناء المتطرفين من السجون العراقية، والتي تؤكد العديد من التقارير والتحقيقات على وجود اهمال متعمد من قبل الحكومة العراقية للأمر في ذلك الوقت، بهدف

اعطاء الفرصة للتنظم للصعود بهدف اجهاض الحراك الشعبي في العراق وحتى في سوريا بحكم نفوذ ايران الواسع على حكومة المالكي العراقية حينها.

ويدعم ذلك ما أشار له عدد من الباحثين، مما هو ملاحظ من تناقض الايديولوجيا التي يحملها التنظيم مع ثقافة المجتمعات المحلية المتسامحة - بل بلغ تطرف ايديولوجيا التنظيم حد التناقض مع أصول الايديولوجيا المتطرفة التي ولد من رحمها، والمتعارف بتسميتها ب"السلفية الجهادية" مما يؤكد غريبته وانفصاله عن ثقافة المجتمعات المحلية - إضافة إلى ما يكاد يجمع عليه الباحثون المراقبون من مختلف التيارات من وجود تدخل خارجي يدعم صعود التنظيم وأشباهه بهدف الاستثمار السياسي، وتشير اصابع الاتهام إلى ايران والنظام السوري كأحد أهم مستثمري التنظيم وأشباهه كأدوات لنشر الفوضى وزعزعة استقرار المنطقة بهدف الضغط على الفاعلين الآخرين لقبول أدوارهم كجزء من الحل باعتبارهم مالكين لأصول مسببة لزعزعة الاستقرار، وقادرين على التحكم بها واطرافها عند رغبتهم.

تنسق ملامح التوجهات السابقة مع تغيرات في لهجة التعامل مع التنظيمات الأقل تطرفاً من أمثال "هيئة تحرير الشام" ضمن أروقة بعض صناعات القرار أو المقربين منهم، باعتبار أن "هيئة تحرير الشام" تحوز بنية أمنية قادرة على التعامل مع المجموعات الأكثر تطرفاً، خاصة مع وجود بقايا لجماعات يمكن أن تحتضن بعض الخلايا النائمة لتنظيم "داعش" في الشمال السوري.

يوصي التقرير الباحثين في شؤون الجماعات المتطرفة بإلقاء موضوع توظيفها والاستثمارات الخارجية فيها الأهمية البحثية التي تستحقها بهدف إخراجها من دائرة الاتهامات السياسية المتبادلة والبروباغندا الاعلامية أو مبالغت الأفكار المسبقة عن المؤامرة، وعدم الاقتصار على دراسة العوامل الذاتية الايديولوجية أو السياسية المجتمعية لصعود تلك التنظيمات.

المقدمة:

بعد قرابة العام على إعلان التحالف الدولي بقيادة "الولايات المتحدة الأمريكية" السيطرة على آخر معاقل التنظيم في منطقة "الباغوز" شرقي سوريا¹، وطى صفحة "دولة الخلافة" التي أعلنها التنظيم، والتي امتدت في العام 2014 على مساحةٍ تصل إلى ثلث العراق وسوريا.

وعلى الرغم من إعلان الرئيس الأمريكي "دونالد ترامب" زوال خطر التنظيم بعد القضاء على متزعمه "أبو بكر البغدادي" ووصف مقتله بأن "العالم قد أصبح أكثر أمناً بعد البغدادي"²، حذّر محللون سياسيون من أن خلايا التنظيم التي تنشط في سوريا والعراق بعد هزيمته عسكرياً في الدولتين مستقلة إلى حد كبير، وتحظى بالتمويل الذاتي، ولذلك من غير المتوقع أن تتأثر كثيراً بـ "قطع رأس" التنظيم. كما لاقى الإعلان معارضة كبيرة، ليس فقط من مراكز الأبحاث³، بل حتى من الإدارة الأمريكية، وانتهالت التقارير والتصريحات من قبل "البنتاغون ووزارة الخارجية الأمريكية" بأن التنظيم ما زال يشكل خطراً بعد تحوله إلى حرب العصابات والاستنزاف⁴.

وكحال معظم التنظيمات الإرهابية المتطرفة، التي ترى من البيئات التي تسود فيها الفوضى مرتعاً لنشاطها وعملياتها، فإنّ تنظيم الدولة "داعش" ما إن بدأ انتشار فايروس "كورونا المستجد" بتهديد دول العالم، حتى تجدد نشاط عملياته في سوريا والعراق بشكلٍ ملحوظ، الأمر الذي يفتح الباب للتساؤل حول إمكانية تأثر التنظيم بالجائحة التي تهدد العالم أجمع واحتمال استفادته منه، مستغلاً السياسات العسكرية الانكفائية والفرדانية لدول العالم بشكل عام، وعلى وجه الخصوص قوات التحالف الدولي "الذي تشكل لمواجهة التنظيم" وذلك بعد الانسحابات المتتالية وإعادة التموضع للقوات تاركاً بذلك فراغاً كبيراً يتيح للتنظيم إمكانية اختيار النقطة الأضعف التي سيجام بها أعدائه.

يأتي هذا التقرير التحليلي في سياق محاولة للإجابة على عدة تساؤلات بخصوص مستقبل "داعش" ضمن أربعة محاور رئيسية، حيث يستعرض المحور الأول نظرة حول مآلات التنظيم بعد العام "2019"⁵ والمناطق التي ازداد بها نشاط التنظيم والتي أصبحت مسرحاً لعملياتها العسكرية، ويتناول المحور الثاني الحديث عن احتمالية عودة "داعش" إلى الظهور مجدداً، وتناول المحور الثالث تأثير جائحة كورونا على التنظيم وعلى الفاعلين الدوليين على الأرض السورية والعراقية، واحتمالية استغلال التنظيم الأزمة في إعادة نشاطه العسكري، وترتيب صفوف مقاتليه والقيام بهجمات موسّعة وأشد فتكاً عن سابقتها، وختاماً يستعرض المحور الرابع قضية الاستثمار الخارجي في التنظيم، مع الاستشهاد بالعديد من آراء الخبراء والباحثين بخصوص هذه القضية.

¹ نص البيان المشترك الصادر عن وزراء التحالف الدولي لهزيمة داعش. صادر عن مكتب المتحدث باسم وزارة الخارجية: الرابط التالي: [البيان المشترك](#)

² ينظر إلى الرابط التالي: كلمة للرئيس الأمريكي مصوّرة أعلن فيها مقتل أبو بكر البغدادي. <https://www.youtube.com/watch?v=sBUTaztCoX0>

³ يُنظر على سبيل المثال ورقة مركز الحوار "مستقبل فكر الغلو والتطرف بعد داعش وآليات التعامل معه" - ورقة استعرضت آراء خبراء.

⁴ لمزيد من التفاصيل، يُنظر إلى التقرير التالي لجريدة الشرق الأوسط حول [تحذير البنتاغون من عودة خطر "داعش"](#).

⁵ العام الذي شهد انحسار سيطرة التنظيم وخسارته آخر المدن التي كان يسيطر عليها "الباغوز".

أولاً: فترة ما بعد الباغوز، زيادة نشاط داعش ومراكز عملياته:

شهد العام 2019 انحسار تنظيم الدولة "داعش" عن معظم المناطق التي سيطر عليها، وذلك بعد سلسلة من الهزائم التي طالته بين العامين 2017_2019، والتي كان آخرها المزاعم حول القضاء على أبو بكر البغدادي "أول خليفة للتنظيم" في غارة جوية شنتها القوات الأمريكية في قرية باريشا "شمالي سوريا"، في تشرين الأول/أكتوبر من العام الماضي⁶.

حرب العصابات والاستنزاف كاستراتيجية داعش الجديدة:

على الرغم من الضربات القاسية التي تلقاها التنظيم، إلا أنه نجح نسبياً في الجهود الأولية لإعادة ترميم وأداء شبكاته الأمنية والإعلامية، واستطاع استيعاب الواقع الجديد عبر الانتقال إلى النشاط الأمني - كما سيتضح لاحقاً في ثنايا التقرير - كبديل عن العسكري وعن السيطرة المكانية والحروب الكلاسيكية، الأمر الذي ربما يعود إلى امتلاك التنظيم للتمويلات والسيولات الضخمة، وتحوله من نهج المركزية والدولة إلى نهج اللامركزية، معتمداً على منطق الاستنزاف وحرب العصابات وعمليات الذئاب المنفردة والتجنيد وغيرها، عبر مجاميع وخلايا نائمة صغيرة تنتشر في كلٍّ من العراق وسوريا عبر مساحات غير مأهولة، وفي عمق الأرياف والفضاءات الصحراوية النائية، إضافة إلى التموضع كخلايا نائمة داخل المدن، كما أشار منسق مكافحة الإرهاب في الخارجية الأمريكية "نathan سيلز" في تقرير للخارجية الأمريكية السنوي عن الإرهاب⁷.

مناطق عمليات التنظيم الأخيرة:

ورد في تقرير أمريكي لعدة وكالات حكومية أمريكية "من ضمنها البنتاغون" أنّ ما بين 14 و18 ألف من مقاتلي تنظيم الدولة لا يزالون في العراق وسوريا⁸. وقد تتابعت التصريحات الاستخبارية الدولية وتقارير لمراكز الأبحاث مفادها أن التنظيم ما زال نشطاً وأنّ خطره ما زال ماثلاً، تزامن ذلك مع إعلان تنظيم "داعش" مسؤوليته عن أكثر من 2000 هجوم في العراق وسوريا مجتمعة مختلفة في التصنيف والأسلوب والضحايا الناتجة عنها منذ سقوط الباغوز حتى 19 آذار/مارس 2020⁹. ففي سوريا ادّعى قيامه بـ 973 هجوماً في المحافظات التالية: 580 بدير الزور 150 في الرقة 141 في الحسكة 48 في حمص 33 في درعا 16 مدينة حلب 4 في دمشق، 1 في القنيطرة، يبدو أنّ المستوى المرتفع لعمليات التنظيم في دير الزور الحدودية مع العراق يعود إلى طبيعة المنطقة الجغرافية الصحراوية، حيث تمنح البيئة الصحراوية لعناصر التنظيم سهولة في الحركة ونصب الكمائن لأرتال الميليشيات في تلك المناطق، كما

⁶ واشنطن تعرض أول صور للغارة التي استهدفت زعيم تنظيم الدولة "قناة BBC" <https://www.bbc.com/arabic/middleeast-50243762>

⁷ داعش يزداد عالمياً رغم هزيمته في سوريا: تقرير للخارجية الأمريكية السنوي عن الإرهاب.

⁸ تقرير مشترك لوزارة الخارجية والتنمية الأمريكية والبنتاغون عن نشاط داعش في العراق وسوريا 2019

https://www.stateoig.gov/system/files/q3fy2019_leadig_oir_report.pdf

⁹ تقرير لمعهد واشنطن يتضمن توزع هجمات التنظيم بعد سقوط الباغوز إلى شهر مارس 2020 [https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-](https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/a-year-since-baghu-z-the-islamic-state-is-neither-defeated-nor-resurging-yet)

[analysis/view/a-year-since-baghu-z-the-islamic-state-is-neither-defeated-nor-resurging-yet](https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/a-year-since-baghu-z-the-islamic-state-is-neither-defeated-nor-resurging-yet)

أنها بعيدة عن المدن الكبرى وعن السلطات المركزية في كلٍّ من العراق وسوريا؛ فتحول دون وصول التعزيزات والمؤازرات إلى مناطق عمليات التنظيم.

وكانت أبرز عمليات التنظيم بعد معركة الباغوز في 22 آذار 2019، حينما أعلن فيها التنظيم عن قيامه باغتيال ستة عناصر روس في منطقة السخنة بريف حمص الشرقي، وتبع ذلك في 8 نيسان 2019 بعملية أخرى قتل فيها ضابطين روسيين عرضت جثتهما وكالة "أعماق" التابعة للتنظيم¹⁰.

ثانياً: احتمالات وملاحع لعودة "داعش" الثانية في كلٍّ من العراق وسوريا:

في تقرير أعدّه معهد "دراسة الحرب" (ISW) حدّر فيه من أن تنظيم الدولة "داعش" لم يُهزم على الرغم من فقدانه السيطرة على المناطق التي أقام عليها ما يسمى "دولة الخلافة"، وأنه يستعد للعودة على نحوٍ أشدّ خطورة. كما أكد التقرير على أن التنظيم اليوم أقوى مما كان عليه إبان حقبة "دولة العراق الإسلامية" التي ورثت "القاعدة في بلاد الرافدين"¹¹.

هل سنكون أمام دولة "خلافة" ثانية أم مجرد حرب استنزاف طويلة الأمد؟

أمام سلسلة من التصريحات والتحذيرات من الخطر المترص بالعالم من جديد المتمثل بـ "داعش"، يقودنا ذلك إلى التساؤل: فيما إذا ما بدأ التنظيم بضرب المناطق واستعادة زمام المبادرة من جديد، هل سيكون ذلك بحجم التأثير والذروة التي وصل لها عند إعلانه لـ "دولة الخلافة" في العام 2014، أم ستكون مجرد مناوشات وحرب استنزاف طويلة الأمد لإرهاق القوى المعادية له، مع تركيز سيطرته على بعض المناطق الأقل أهمية؟، يبدو أن أمر تمدد "داعش" من عدمه معتمد اعتماداً كبيراً على الفراغ الذي يمكن أن يتركه الانسحاب الأمريكي مع قوات التحالف من المنطقة في ظل ما هو معروف من الاعتماد الكبير للقوات الأخرى "قوات سوريا الديمقراطية (قسد)، التشكيلات العراقية المختلفة" على الدعم الخارجي في مواجهة التنظيم، بالإضافة إلى الخسائر الكبيرة التي تعرضت لمليشيات المشروع الإيراني في كلٍّ من العراق وسوريا¹² بعد التوترات والمناوشات المتبادلة بين الجيش الأمريكي من طرف ومليشيات المشروع الإيراني التي كانت القوة البرية الأبرز في السيطرة على مناطق التنظيم مع قوات "قسد" بدعم جوي من التحالف في سورية والعراق، الأمر الذي قد يفتح المجال للتنظيم لمحاولة ملئ الفراغ في حال زيادة التوتر بين القوات الأمريكية ومليشيات المشروع الإيراني العراقية، إضافة إلى تطور العلاقات الإيرانية الأمريكية بعد انسحاب الولايات المتحدة من الاتفاق النووي لإيراني.

¹⁰ داعش ينشر شريطاً مصوراً لجثتي ضابطين روسيين وأسير من مليشيات النظام، ينظر للخبر على الرابط الآتي

<https://www.facebook.com/Orient.Tv.Net/posts/2528616077156993>. قناة أورينت

¹¹ معهد دراسة الحرب: مؤسسة أبحاث غير حكومية مقرها واشنطن، قدّم تقريراً بعنوان:

"ISIS'S SECOND COMEBACK: ASSESSING TH NEXT ISIS INSURGENCY".

¹² ينظر للتعريف بالمليشيات عدة أوراق أصدرها مركز الحوار السوري حول المليشيات: <https://sydialogue.org/ar/140>.

ومن جانب آخر، يدرك التنظيم والقوات المتحالفة ضده على حدٍ سواء بأن بعض العوامل التي ساعدت في ظهور التنظيم ومن ثم توسعه ما زالت موجودة، وخاصة الاحتقان العرقي والطائفي في المنطقة، وربما أيضاً دخول الولايات المتحدة مع إيران في لعبة حافة الهاوية وعض الأصابع، وسط احتجاجات شعبية في العراق، وهي ذات الظروف التي صعد فيها التنظيم في العام 2014 عندما انتفضت المدن العراقية ضد سلطة المالكي بالتزامن مع صعود الثورة السورية، والتي تشير العديد من المؤشرات إلى إسهام الإيرانيين بشكل متمعد في ظهور التنظيم لخلط الأوراق وانتزاع شرعية الحرب على التطرف والارهاب، و الضغط على الإدارة الأمريكية لإنجاز الاتفاق النووي الإيراني، وهو ما سوف نشير إليه لاحقاً في هذا التقرير في فقرة (التوظيف الدولي لتنظيم "داعش").

ويبدو أنه بدون القيام بإجراءات حقيقية تتمثل بالحدّ من العوامل المختلفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والاستثمار الخارجي، وهي ذات العوامل التي ساعدت على صعود وبقاء التنظيم¹³، فلا يمكن الحديث عن اجتثاث نهائي للتنظيم.

قدرات عسكرية وإعلامية ومالية ضخمة للتنظيم، قادرة على قلب الموازين من جديد:

أكد التقرير السابق ذكره لمعهد دراسة الحرب على أن التنظيم قد بنى مجموعاتٍ صغيرةٍ من بقايا فلول قواته التي شكّلها في العام 2011 "قوة ضاربة" استطاعت السيطرة على الموصل والفلوجة ومدن أخرى في العراق والسيطرة على معظم شرق سوريا في ثلاث سنوات فقط، كما ذكر التقرير أن التنظيم قد وضع خططاً مضادة لخوض مرحلة تالية من الحرب، ابتداءً من انسحاب معظم القيادات الكبرى من المقاتلين إلى أماكن آمنة، واحتفاظه بشبكة تمويل عالمية ضخمة تصل إلى أكثر من "600 مليون دولار" مولت عودته مجدداً إلى شن الهجمات العدائية، وكذلك الحفاظ على الأسلحة وغيرها من الإمدادات عبر نظام معقد من الأنفاق.

وكحال العديد من الخبراء والمحللين السياسيين، أكد الباحث حسن أبو هنية¹⁴ في مقال نشرته قناة TRT¹⁵ بأن احتمال ولادة ثانية لتنظيم "الدولة" محتمل جداً، وأنها ستكون أسرع وأخطر من الولادة الأولى، وأن هذا الاحتمال يستند إلى قراءة تاريخية¹⁶ وواقعية صلبة، وهي متطابقة مع توقعات معظم الخبراء والمحللين، ذلك أن قدرات التنظيم العسكرية والمالية والإعلامية لا تزال كبيرة، فقد أظهر التنظيم قدرة فائقة على التكيف وإعادة الهيكلة والعمل كمنظمة لا مركزية".

¹³ تم الحديث عن العوامل التي تساعد على صمود التنظيم وبقائه في الفصل الرابع من هذه الورقة من خلال استشارة العديد من المختصين في جماعات الغلو والتطرف.

¹⁴ حسن أبو هنية باحث متخصص في شؤون الجماعات المتطرفة. نبذة تعريفية عن الباحث

<https://bookstore.dohainstitute.org/m-736.aspx>

¹⁵ للاطلاع على المقال، "تنظيم داعش الإرهابي، هل من عودة قريبة؟"

¹⁶ من المعلوم أن البعد التاريخي يؤخذ بشكل هام في قضايا العلاقات الدولية، وهو ما ينطبق فيما يبدو على سلوك الجماعات ما دون الدولة كحالة تنظيم "داعش".

وأشار الباحث أبو هنيّة إلى أن جاذبية التنظيم الايديولوجية ما زالت مرتفعة، وأن بإمكانه استقطاب الجنود ومقاتلين جدد، عازياً ذلك لهشاشة الوضع الأمني في العراق وسوريا وضعف الاستقرار، إلى جانب سوء الحكومات، وسيادة منظومة الفساد وشيوع الاستبداد، وتفشي الطائفية، فضلاً عن التدخلات الخارجية وصراع القوى الإقليمية والعالمية على الشرق الأوسط.

ثالثاً: استغلال الأزمات، أثر جائحة كورونا على مستقبل "داعش" وعلى الوجود الأجنبي:

مع ظهور جائحة "كورونا المستجد" في معظم أنحاء العالم، ووصول خطره إلى كلٍّ من سوريا والعراق، وفرضه على بعض الدول سياساتٍ انكفائيةٍ لمنع تفشي الوباء، ومع الحديث عن انسحاباتٍ متتالية لقوات التحالف الدولي وتعليقٍ لعملياتها العسكرية في كلٍّ من سوريا والعراق¹⁷، والقيام بسحب قواته التدريبية من العراق، بعد تعليق برنامج التدريب كإجراءٍ وقائيٍ لمنع تفشي "كورونا المستجد" بين جنودها، وصولاً إلى إعلان الولايات المتحدة الأمريكية مخططاً لانسحاب¹⁸ من ثلاث قواعد من أصل ثمانٍ في العراق، بعد التوتر الذي شهدته الولايات المتحدة مع إيران، وذلك ضمن الاتفاق المسبق مع الحكومة العراقية، بدأت خلايا تنظيم "داعش" بتحركاتٍ ونشاط متزايد، وذلك بتنفيذ هجمات متعددة استهدفت مواقع قوات الميليشيات الإيرانية وميليشيات سوريا الديمقراطية "قسد"¹⁹، حيث أعلن عبر وكالة أعماق 29 آذار/مارس عن أسر عناصر من "وحدات الحماية" في ريف الحسكة وإعدامهم، كما نشر التنظيم إصداراً جديداً حول عملياته العسكرية التي يقوم بها في البادية السورية، وتحديدًا في قرى منطقة السخنة التابعة لريف حمص الشمالي، لتعود الى نفس الاستراتيجية التي تتبعها منذ نشوئها في استغلالٍ واضحٍ لحالة الفوضى التي عمّت البلاد .

وفي ظل انتشار الفيروس الذي وصفه التنظيم بـ"أسوأ كوابيس الصليبيين"، وذلك ضمن افتتاحية طبعة 19 آذار/مارس من نشرة جريدة "النبا"²⁰ التابعة له، تحدّث التنظيم عن تأثير "كورونا" على أعداء التنظيم، وفيما يبدو أن التنظيم يحاول رفع الروح المعنوية لجنوده والتأكيد على أن التنظيم ما زال حيّاً وذلك من خلال دعوة أتباعه إلى استغلال الفوضى المترتبة على مكافحة الفيروس بتحرير الأسرى وتكثيف الهجمات لإضعاف أعداء التنظيم، معللاً ذلك بأن أنظمة الأمن الوطنية والدولية التي تساعد على الحد من عملياته، على وشك أن تخرج عن السيطرة والوقوع في أزمة مالية.

¹⁷ ينظر إلى تقرير للبنتاغون حول الانسحاب من بعض القواعد من العراق لمنع تفشي وباء كورونا:

<https://aawsat.com/home/article/2203256> «البنتاغون»-انسحاب-قوات-التحالف-من-العراق-هدفه-الحد-من-انتشار-«كورونا»

¹⁸ ينظر إلى الرابط التالي: الولايات المتحدة تقرر الانسحاب من 3 قواعد رئيسية لها في العراق

¹⁹ مقال لمركز العربي الجديد يرصد هجمات التنظيم ضد النظام و"قسد"

²⁰ مقال افتتاحي لجريدة النبا التابعة لتنظيم الدولة <https://pastethis.to/bEj1zTj>

وفي المقابل، يبدو أن التنظيم سيحاول استغلال الفوضى والتخبط الذي يسببه الفيروس، ليس فقط في سوريا والعراق بل في جميع أماكن تواجده في العالم، وهذا واضح وجلي من خلال دعوة أتباعه لضرورة استمرار حربهم الممتدة عبر أرجاء العالم، حتى مع تفشي الوباء، وقد وسّع فعلاً من عملياته مؤخراً مستغلاً الفرصة في انشغال العالم بـ "كورونا" على حساب أنشطته الأمنية والعسكرية.

ومن جانب آخر نشرت "مجموعة الأزمات الدولية" تقريراً بعنوان "التناقض مع داعش في زمن الكورونا"²¹ أشارت فيه إلى أنه ومع تمكّن الفيروس بسرعة من إعادة ترتيب أولويات صناعات السياسات والرأي العام بمختلف أرجاء العالم، تراجعت صراعات كانت تحتل حتى وقت قريب بؤرة اهتمام العالم والجدالات الإعلامية إلى الخلفية، الأمر الذي ينطبق على القتال ضد "داعش" في العراق وسوريا وغيرهما، داعياً العالم إلى ضرورة الاستعداد لهجمات جديدة لتنظيم الدولة.

ويرى الباحث المختص بشؤون الجماعات المتطرفة حسن أبو هنية بأنه "لا يزال الوضع السياسي والاقتصادي والأمني في العراق وسوريا هشاً، وتفتقر القوات الرسمية المحلية إلى الكفاءة والموارد اللازمة في ملاحقة عناصر التنظيم في إطار تحول التنظيم إلى نهج حرب الاستنزاف وتكتيكات حرب العصابات. ويشكل ضعف الاستقرار وتراجع عمليات إعادة الإعمار، إلى جانب سوء الحوكمة وسيادة منظومة الفساد وشيوع الاستبداد، وتفشي الطائفية، الحاضنة الكافية لعودة تنظيم الدولة. وفي منطقة رخوة تعاني من التدخلات الخارجية وصراع القوى الإقليمية والعالمية، فإن جائحة "كورونا" شكلت هدية إضافية لعودة أنشطة التنظيم"²²، وفي محاضرة له عن الآثار المتوقعة لموضوع كورونا تاريخياً، توقع الباحث د. حسان الصفدي عودة لنشاطات تنظيم داعش استغلالاً لظروف الارتباك التي تسببت بها جائحة الكوفيد19²³.

رابعاً: التوظيف الدولي في تنظيم "داعش"، آراء خبراءٍ وباحثين²⁴:

إنَّ صعود تنظيم "داعش" الأخير وازدياد نشاط عملياته على الرغم من الحرب التي شنتها قوات التحالف الدولي للقضاء عليه، يثير تساؤلات عن الأغراض الحقيقية من الحرب المعلنة عليه؟ أي لهزيمته فعلاً"، أم أنها لتحجيم نشاط التنظيم فقط؟ أم أنّ هناك مصالح مختلفة لكل الدول الفاعلة من وجوده في المنطقة؟.

²¹ تقرير "مجموعة الأزمات الدولية" المعنون "التناقض مع داعش في زمن الكورونا"

²² "تنظيم الدولة" وهدية جائحة "كورونا" – عربي 21.

²³ ينظر المحاضرة للباحث بعنوان: كورونا لحظة التحول التاريخي <https://www.youtube.com/watch?v=K7f1qg24smg>، وفيما تحدثت الباحثة عن

سيناريوهات عديدة لتأثير الجائحة على النسق الدولي، مما يفتح الباب للتأثير بحسب كل سيناريو على مدى استغلال تنظيم "داعش" للظروف.

²⁴ لمزيد من الاطلاع، ينظر إلى ورقة تحليلية سابقة لمركز الحوار السوري بعنوان "مستقبل فكر الغلو والتطرف بعد داعش"، حيث تناولت الورقة عدة آراء

لعدة مختصين وباحثين في فكر الغلو. للاطلاع على الورقة، ينظر إلى الرابط الآتي: <http://sydialogue.org/files/54PR.pdf>

في محاولة للإجابة عن التساؤلات السابقة، قامت وحدة تحليل السياسات في مركز "مركز الحوار السوري" بطرح التساؤلات على العديد من المتخصصين والباحثين في شؤون الجماعات المتطرفة، إضافة إلى استعراض وبحث ما هو منشور عن الموضوع من قبل باحثين آخرين.

نشأة تنظيم الدولة "داعش"، الأسباب الموضوعية والذاتية:

وفي معرض حديثه عن نشأة تنظيم "داعش"، أشار د. عماد الدين خيتي²⁵ إلى أن بداية نشأة تنظيم "داعش" لم تكن نتاج حراك فكري أو مجتمعي طبيعي في الأماكن التي ظهر فيها، بل كان مصطنعاً مدفوعاً به لأخذ هذا الدور، كما أن تمويله وتضخمه لم يكن نتيجة نمو طبيعي، ولا لقناعة المجتمعات به، بل كان جميع ذلك نتاج تدخلات خارجية أثبت التاريخ وجودها وصحتها بما لا يدع مجالاً للشك فيها، وقد كان من أهداف هذا التضخيم (المادي – البشري – الإعلامي) ضرب وتشويه صورة الإسلام في العالم، وسحب الطاقات البشرية والمادية لمحرقته وتفريغ الدعوات الإصلاحية والتحررية من عمادها الأهم وهو الشباب.

كما أشار الباحث حسن الدغيم²⁶ إلى أن تنظيم "داعش" ما هو إلا عبارة عن تنظيم مركب اجتمعت فيه أسباب ذاتية، أجملها الباحث "في سوء فهم عناصر التنظيم للدين، واختزال النصوص وتوظيفها في غير محلها، وأسباب موضوعية تتضمن "فشل الدول الوطنية، ونشوء الأنظمة الطائفية والاستبدادية، وعوامل القهر والكبت والتعذيب وحرمان الحقوق والفساد الاقتصادي والسياسي والتدخل الخارجي في المنطقة"، ويؤكد الباحث على أن نشوء التنظيم جاء باجتماع الأسباب الموضوعية مع الأسباب الذاتية والتداخل بينهما.

إشكالية الغاية من الحرب على الإرهاب:

يرى الباحث عباس شريفة²⁷ بأن كثيراً من الدول والجهات التي ترفع شعارات الحرب على الإرهاب، تخفي غاية سياسية لا تتوافق مع غايات الشعوب في البحث عن الحرية والكرامة وإنهاء الأنظمة الاستبدادية وحال الذل والهوان، خصوصاً عندما تأتي الحرب على الإرهاب من أنظمة ديكتاتورية غايتها تعزيز قبضتها الأمنية وخنق الحريات وضرب الثورات والتنكر للاحتجاجات الشعبية بحجة خطر الإرهاب وإلحاح الاستحقاق الأمني على استحقاق الإصلاح السياسي، وهو حال كل الأنظمة الاستبدادية في المنطقة بحسب تصوره، حيث تجعل الأنظمة – وفق ما يرى الباحث - من الحرب على الإرهاب ذريعة لطى صفحة الإصلاح السياسي، واعتبار أن الإرهاب هو مشكلة أمنية ولا بد من تعزيز القبضة الأمنية "حالة الطوارئ" من أجل مكافحة الإرهاب، وقد أشار الباحث إلى

²⁵ أكاديمي سوري، يحمل شهادة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية، ويرأس المكتب العلمي في هيئة الشام الإسلامية.

²⁶ باحث سوري، ماجستير في الدراسات الإسلامية، عضو في المجلس الإسلامي السوري.

²⁷ باحث سوري، إجازة في الشريعة الإسلامية، ومتخصص في الفقه الإسلامي والجماعات الإسلامية.

أنّ هذه القبضة غالباً ما يدفع ثمنها المواطنون، وتستثمر بها السلطة لممارسة مزيد من التغول وإحكام السيطرة على شعوب المنطقة.

من جهته، يرى الباحث الدغيم في حديثه عن الغاية من الحرب على الإرهاب بأنّ ظهور تنظيم "داعش" في الفترة الأخيرة كان عاملاً عتياشٍ وتوظيفٍ لعدة قوى عالمية تحت ذريعة "ما يسمى الحرب على الإرهاب" في سبيل البقاء في المنطقة وتحقيق أمور أخرى سياسية واقتصادية.

ويعتقد الباحث الدغيم أنّ مثل هذه التنظيمات يصعب أن يقال أنّها تتبع لدول واحدة، فكل دولة تملك جهازاً أمنياً استخباراتياً قوياً، وتملك موارد مالية ضخمة تستطيع أن تجنّد وتوظف في هذه التنظيم، وقد ردّ الباحث ذلك إلى بنية التنظيم نفسه، التي تتميز بأن السيطرة الفعلية فيها للجهاز الأمني المتحكّم في معظم قرارات التنظيم، وهم أمنيون يتبعون إلى أجهزة استخباراتية متنوعة، وكل منهم يجيّر قوة وظهور أو خمول التنظيم لصالح دولته المشغلة له، وهم أكثر اصحاب القرار تأثيراً داخل التنظيم.

وفي ذات السياق، ذهب د.خيتي إلى أن ما يسمى بالحلف الدولي لمكافحة الإرهاب، لم يكن هدفه الرئيس مقاومة تنظيم "داعش" ولا حتى استئصالها، ولا تحرير الشعوب من إرهابه وإجرامه، بل كان تشكيل هذا التحالف تحقيقاً لأهداف عديدة أخرى من أهمها، ضرب مشروع التحرر السني من ربة الدول المستبدة الطائفية في سورية والعراق، ودعم قوى الثورة المضادة في مقابل الثورات التحررية في عدد من الدول كأفغانستان واليمن وليبيا ونحوها، بالإضافة لحصار من لم يتوافق مع دول الثورات المضادة وحلفها الدولي "تركيا"، ومحاولة فرض واقع عسكري وسياسي على المنطقة وشعوبها يكرس حكم الأنظمة الاستبدادية الطائفية، ويحارب كل من يحاول الخروج عنها، تحت شعارات "محاربة الإرهاب".

مشكلة الإرهاب وإشكالية اختيار الأدوات:

تناول الباحث عباس شريفة مشكلة الحرب على الإرهاب المستمرة منذ عقود إلى اليوم باعتبارها مشكلة مستدامة، وقد ردّ الباحث ذلك إلى أن جذر مشكلة محاربة الإرهاب لا تكمن في العجز الدولي على إنهاءه، وإنما باختيار الأدوات التي يحاربون الإرهاب بها، فقد عززت هذه الأدوات حضور الجماعات الإرهابية كحالة لا تختلف عن الأدوات الإرهابية الأخرى التي اعتمدت عليها الدول، وقد ضرب بذلك مثال التحالف الدولي بقيادة "الولايات المتحدة الأمريكية" التي اعتمدت في حربها على "داعش الإرهابي" على تنظيم إرهابي آخر "PYD"، وقد رأى الباحث أنه في المقابل، كانت روسيا وإيران وميليشياتها الطائفية الإرهابية تمارس مع النظام السوري أقصى أنواع الإرهاب ضد الشعب السوري بحجة مكافحة الإرهاب، وهو ما جعل الحواضن الاجتماعية لا تقتنع بهذه الحرب على الإرهاب خصوصاً عندما تقارن هذا الإرهاب في جانبه الأخلاقي مع أخلاق أعدائه والأدوات التي تدعي محاربتها.

تحول الإرهاب إلى ظاهرة قابلة للاستثمار والتوظيف:

كما اعتبر شريفة أنه وفي ظل الحروب الهجينة التي باتت سمياً ملازماً لأغلب صراعات هذا العصر، بات دور التنظيمات الإرهابية العابرة للحدود والقابلة للتوظيف أساسياً، وغدت لاعباً مهماً في تنفيذ أجنادات الدول والجماعات المختلفة، وأنه ومن خلال تحريك هذ التنظيمات تمرر كل المشاريع الدولية والإقليمية تجاه دولة ما، ومن خلالها يمكن تغيير التركيبة الديمغرافية لدولة ومنطقة ما، ومن خلالها يمكن إعادة تأهيل أنظمة الفساد والاستبداد، وضرب ثورات التحرر، وإشعال الحرب الطائفية، وتمرير مشاريع التقسيم والتفتيت لدول المنطقة، وتدمير البنية التحتية، وضرب مشاريع التنمية من خلال ضرب الاستقرار، ومن ثم الاستثمار في الحرب على الإرهاب من خلال إظهار قوة صاعدة جديدة يتم الترويج لها بحجة انها قوة محاربة للإرهاب كما يروج اليوم لتنظيم "PYD" الإرهابي.

كما تطرّق الباحث إلى أنّ تحركات "داعش" اليوم تأتي في الوقت الذي يصدر فيه تحقيق منظمة حظر الأسلحة الكيميائية التي تدين النظام باستعمال السلاح ضد المدنيين، واقترب تطبيق قانون قيصر، وتقارير الأمم المتحدة حول تعمد النظام السوري استهداف المستشفيات، في استثمار واضح من قبل النظام، ليقول للعالم أجمع أنه في حال غيابي أو تمّ إضعافي فهذا يعني مزيداً من القوة للتنظيمات الإرهابية.

كما يرى الباحث الدغيم أن تنظيم الدولة "داعش" قد أخذ هذا الزخم الإعلامي والعسكري من خلال ظهوره في أيام الربيع العربي، وأنه قد اعتمد على الأسباب الذاتية من خلال طرح فكرة مظلومية أهل السنة في العراق وسوريا، واستطاع اجتذاب عدد كبير من الشباب أيضاً من خلال الشعارات الدينية الانتقامية من الحكام المستبدين، الأمر الذي وافقته الباحثة روان الرجولة²⁸، التي أكدت على أن التطرف عبارة عن ايديولوجية، وتعمق جذوره في ظل ظروف سياسية و اقتصادية سيئة للغابة، مشيرة إلى أن قتل الولايات المتحدة لاسامة بن لادن و قبله الزرقاوي، و بعده ابو بكر البغدادي لا يعني نهاية التنظيم، خاصة ان الظروف الاجتماعية و السياسية على الارض ما زالت بيئة خصبة و حاضنة للإرهاب، لتؤكد على أنّ تحقيق الاستقرار في المنطقة مرهون بطرح استراتيجية اقليمية ودولية تهدف الى تقديم مشاريع تنمية كبديل للشباب عن حمل السلاح و الانحراط بعمليات سياسية تقدم للمجتمعات الفرصة في تقرير المصير عبر الانتخابات، و بشكل لا عنفي.

ومن جانب آخر، رأى الباحث الدغيم بأن التنظيم مطيئةً لاستثماره خارجياً من عدة دول وقوى وفاعلة في المنطقة، ويرى بأن طرق الاستثمار في التنظيم تشبه "الطفرات"، تأتي من حين إلى حين بشكل احتلالٍ لمدينٍ وقرى، واغتيالات وعمليات انتحارية، ومن ثم تختفي لفترة وكان هناك من يبعث رسائل لأطراف أخرى.

²⁸ روان رجولة باحثة سورية تحمل شهادة الماجستير في التنمية العالمية والسلام من "جامعة بريدجورث"، كتبت عن الجماعات المتطرفة [لمعيد واشنطن](#).

وقد رأى د. خيتي أنّ مصلحة العديد من الدول الفاعلة في المنطقة وعلى رأسهم "قوات التحالف" بقاء هذا التنظيم لاستمرار استثماره في العديد من الأهداف المحلية والإقليمية والعالمية، والتي على رأسها استكمال استهداف المجتمعات في دينها ونسيجها الاجتماعي، لذا فإن ملاحقة التنظيم توقفت عند مرحلة إضعافه وتحجيمه، وحصاره في مناطق معينة دون استئصاله بالكلية، انتظاراً لفرص استثمارية أخرى يعود فيها إلى الساحة تحت نظرهم ومراقبتهم، كما تكرر ذلك عدة مرات، ومن أهمها بعد مقتل البغدادي الأول "أبو عمر". كما أكّد الباحث أن استمرار وجود المبررات التي ظهر التنظيم على إثرها، وجند الشباب بالدعاية لها من محاربة المشروع الشيعي في إيران، والطائفي في سورية، سيشكل مبرراً لاستمرار عمليات التنظيم وتجنيد الشباب.

في الحقيقة، فإن عدداً من الباحثين الغربيين أيضاً كتبوا عن استثمار اللاعبين الخارجيين في "داعش"، على سبيل المثال، كتب الأكاديمي والباحث الاستراتيجي أندرسون²⁹ عن دعم الولايات المتحدة للتنظيم، واصفاً ذلك بالحرب القذرة³⁰، مستنداً بحصول "داعش" على الأسلحة الأمريكية بسهولة، وبأن قادة التنظيم كانوا في سجون الولايات المتحدة في العراق، وإذا كان أندرسون من الداعمين للنظام السوري، ويمكن أن تشوب كتابته الأهداف الايديولوجية، فإن باحثين آخرين ممن لديهم رأي معاكس في النظام السوري يشيرون بأصابع الاتهام في دعم تنظيم داعش إلى النظام السوري وداعميه أيضاً، حيث يؤكد الباحث تشارلز ليستر على مشاركة النظام السوري بشكل فاعل في تأسيس بنية تحتية للجماعات المتطرفة، وخاصة بعد الحرب على العراق، مؤكداً على أن عدداً من قادة تنظيم "دولة العراق الإسلامية" (وهو التنظيم الذي ولدت من رحمته داعش) قد تلقوا العلاج في سوريا بين الأعوام 2007 و2010، كما تحدث عن محمود قول أغاسي "أبو القعقاع" ودوره في التنسيق مع الاستخبارات والحشد بشكل علني للجماعات المتطرفة في ذلك الوقت، ناقلاً معلوماته عن ضباط سابقين لدى النظام، كما يتحدث عن استثمارات كبيرة للنظام السوري في الجماعات المتطرفة في لبنان³¹.

وبحسب عدة مصادر صحفية، فإن مستشار الرئيس الأمريكي الأسبق أوباما بن رودس ذكر في كتابه "العالم كما هو" أن أوباما كان يعرف أن إيران هي من يحرك «داعش»، لكن الرئيس الأمريكي كان هدفه أن يتم التوصل إلى الاتفاق النووي بأي ثمن وهو ما تم في العام 2015، وأن المالكي هو من فتح السجون عمداً لمهرب عملاء إيران من «القاعدة»، وأولئك هم الذين أسسوا تنظيم «داعش»، كما يكشف أن المالكي أمر الجيش بالهروب من الموصل عمداً وترك عتاداً عسكرياً وأموالاً طائلة في البنك المركزي في الموصل، وبالفعل فقد دخل أكثر من 600 عنصر من «داعش» إلى الموصل في 2014، ليبدأ مسلسل «داعش» الإرهابي، بينما تظل إيران تحرك الأمور عن بعد³²، ويتوافق

²⁹ ينظر نبذة عنه في ويكيبيديا: [Tim Anderson - political economist](#).

³⁰ ينظر مقالته: [The Dirty War on Syria: Washington Supports the Islamic State \(ISIS\)](#).

³¹ ينظر ندوة معهد الشرق الأوسط، التي يتحدث فيها ليستر عن كتابه: [The Syrian Jihad: A Book Launch with Charles Lister](#)، وينظر قراءة عن

الموضوع لدى مركز برك: [قراءة عن كتاب "الجهاد السوري"](#).

³² ينظر مثلاً التقارير الصحفية: [بن رودس: أوباما يعشق إيران حد العي ويكره العرب - الخليج](#)، [كتاب لمستشار أوباما يكشف أسراراً حول نشأة تنظيم](#)

[الدولة ودور عملاء إيران ورئيس وزراء العراق الأسبق به - نداء سوريا](#)، ولم يتح لنا الاطلاع على الكتاب بعد.

هذا مع ما أدلى به السياسي العراقي غانم العابد من مدينة الموصل العراقية، والذي كان ناشطاً في التظاهرات قبل سقوط الموصل، حيث أفاد بأن "قائد الحرس الثوري الإيراني قاسم سليمانى" كان قد هدد رئيس البرلمان العراقي السابق أسامة النجيفي بإسقاط المدينة مالم يدعم رئيس الوزراء السابق نوري المالكي، مشيراً إلى أنه وبالفعل، كان لإيران والمالكي دور كبير في عملية سقوط الموصل، فعملية هروب قيادات تنظيم القاعدة من سجن أبو غريب كانت بمساعدة مسؤول كبير في الدولة، بحسب تصريحات وزير العدل العراقي آنذاك حسن الشمري، وأن نوري المالكي، والقيادات الهاربة من السجن هي التي قادت عملية (داعش) للسيطرة على الموصل³³.

وسلط العابد الضوء على الدور الإيراني في سقوط الموصل بالقول: "قدمت طهران لـ(داعش) كثيراً من التسهيلات كي تحتل الموصل، وتمثلت هذه التسهيلات بانسحاب الجيش العراقي المفاجئ من المدينة وتسليمها للتنظيم، وترك كميات كبيرة من الأسلحة المتطورة والحديثة المتنوعة للتنظيم، من ضمنها مروحيات، ودبابات إرماز ومدافع ثقيلة، بلغت قيمتها بحسب تقديرات وزير الدفاع العراقي الحالي نحو 27 مليار دولار، ولولا هذه الأسلحة لما استطاع (داعش) أن يشن في وقت واحد هجومًا واسعًا باتجاه أقاليم كردستان وبغداد وكوباني"³⁴.

المحرر الصحفي المختص بالشأن الإيراني ميسم بهرافيش رأى بأن التوظيف والاستخدام الاستراتيجي لجماعات مثل "داعش" و"هيئة تحرير الشام" شمل مختلف الفاعلين في القضية السورية، إلا أنه لا يمكن إنكار أن نظام الأسد كان الفاعل الأكثر استفادة من ظهور مجموعات مثل "داعش" في سوريا، ويرى بأن وجودهم جعل انتصار

³³ الجدير بالذكر أنه وفي ندوة خاصة حضرها أحد باحثي مركز الحوار السوري، وضمنت باحثين أتراك وسوريين وعراقيين، أكد باحث عراقي على أن هناك ما يشبه التوافق العام عند الباحثين العراقيين على أن إيران تحرك تنظيم داعش في العراق بنسبة كبيرة..

³⁴ كما وتطرق العابد إلى تفاصيل عدة عن سيطرة تنظيم داعش على الموصل، والأحداث التي شهدتها المدينة قبل أيام من سقوطها بيد التنظيم، وأردف بالقول: "سيطرة (داعش) على الموصل لم تكن مفاجأة للقوات الأمنية، بل كانت معلومة لكل من القائد العام للقوات المسلحة في ذلك الوقت، نوري المالكي، ووزارة الدفاع وكل القيادات الأمنية الموجودة في الموصل، فعندما اعتقلت القوات الأمنية في الموصل، وزير شؤون الأسرى والمعتقلين لدى تنظيم داعش، عوف عبد الرحمن، في أبريل (نيسان) من عام 2014 أي قبل سيطرة التنظيم على الموصل بشهرين، اعترف هذا الوزير في (داعش) أن أمراً سيحدث في بداية يونيو (حزيران) من نفس العام داخل الموصل، وعلى خلفية اعترافاته حُددت 6 معسكرات لـ(داعش) مع كل إحداثياتها وتفصيلها، وهذه المعسكرات هي التي سينطلق منها هجوم باتجاه الموصل، وكانت هذه المعسكرات تقع في منطقة ري الجزيرة القديم وجنوب منطقة الحضر (غرب الموصل)، واستطلع الطيران العراقي في 14 مايو (أيار)، المناطق المحددة حسب اعترافات عبد الرحمن، وتبين أن المعلومات صحيحة".

وتابع العابد: «دائرة استخبارات نينوى أبلغت قيادة العمليات بتاريخ 20 مايو أن التنظيم سينفذ عمليات واسعة ضمن مركز المحافظة، وغايته نقل المراكز من محافظة الأنبار إلى الموصل، بعد أن اشترى عدداً كبيراً من السيارات وكميات من الأسلحة، وجيز مواقع حديثة في منطقتي الجزيرة والبادية في عملية أطلق عليها التنظيم اسم (العرس)، وكانت دائرة الاستخبارات قد اقترحت مجموعة من المقترحات لصيد الهجوم، تمثلت في تعزيز القوات الأمنية في منطقة الجزيرة، وتنفيذ عملية مشتركة من قبل قيادات عمليات نينوى والبادية وصالح الدين والأنبار ضد التنظيم، ومسك الحدود بطريقة صحيحة". وأوضح السياسي الموصل بالقول: "مدير استخبارات نينوى أكد في الأول من يونيو أن الهجوم المرتقب لـ(داعش) لا يستهدف الموصل فحسب، بل سيضمحل عدة محافظات، لكن رغم كل هذه التحذيرات والمعلومات أخذ قائد عمليات نينوى، مهدي الغراوي بتاريخ 3 يونيو، إجازة". وأشار العابد إلى أن القوات الأمنية العراقية ارتكبت خطأ فادحاً بقتلها القيادي في «داعش» أبو عبد الرحمن البيلاوي، مبيناً أن القوات الأمنية اعتقدت أنه بقتلها البيلاوي أحبطت هجوم التنظيم المرتقب على الموصل، مستدرگًا بالقول: "لكن هذا لم يحصل"، ينظر التقرير في صحيفة الشرق الأوسط: العابد: [قاسم سليمانى هدد أسامة النجيفي بإسقاط الموصل قبل سيطرة «داعش» عليها به أشهر.](#)

الأسد لا رجعة فيه، وأن ذلك كان أحد أقوى الاستراتيجيات التي اعتمدها النظام السوري وحلفاؤه للقضاء على الثورة الشعبية في سوريا³⁵.

وفي دراسة لمعهد السلام الأمريكي حملت عنوان "كيف يؤثر سليمان على سوريا ومحاربة داعش"³⁶، اعتبر التقرير بأن اغتيال سليمان وما يمكن أن يؤدي إليه من صراع بين الولايات المتحدة وإيران سيؤدي إلى صعود "داعش"، خاصة مع مطالبة البرلمان العراقي للأمريكيين بالانسحاب، ولم يُفصّل التقرير في آليات صعود داعش، ولكن يمكن من خلال الربط مع المعلومات الكثيرة التي تحدثت عن الاستثمار الإيراني في الظاهرة الاستنتاج بأن أي إخراج لإيران من التوافقات الإقليمية يعني دعماً للفوضى بشكل متعمد لتستثمرها "داعش" وغيرها من الجماعات بهدف إظهار أهمية إيران في استقرار المنطقة، وأنها جزء من الحل كونها تملك خيوط التحكم بعوامل زعزعة الاستقرار في المنطقة، وبالتالي لا بدّ من إرضائها لتحقيق الاستقرار، ويدعم ما ذكره السياسي العراقي تقرير صادر عن اللجنة البرلمانية العراقية، والذي اتهم 36 شخصية بالتورط في سقوط الموصل، وعلى رأسهم رئيس الوزراء العراقي الأسبق نوري المالكي (وهو المعروف بالولاء للبرانيين)³⁷.

الجدير بالذكر أن عدداً من المقربين للقاعدة أو تنظيم "داعش" كانوا قد أشاروا بشكل أو بآخر للعلاقة مع إيران، فقد صرح العدناني الناطق الرسمي باسم داعش بقوله: فليسجل التاريخ أنّ للقاعدة ديناً ثميناً في عنق إيران³⁸، إضافة إلى تصريحات أخرى عديدة من منظرين أو شرعيين داعمين للتنظيمات المشابهة، التأكيدات الصريحة لمثل هذه العلاقة مع بعض تفاصيلها أتى من المنظر الجهادي المعروف، وصاحب كتاب (العمدة في إعداد العدة) وكتاب (الجامع في طلب العلم الشريف) وكتب أخرى تعدّ من أشهر الكتب المرجعية للأدبيات الجهادية، وهو الدكتور سيد إمام، والذي كان صديقاً وزميلًا للدكتور أيمن الظواهري، والذي قال في مقابلة تلفزيونية (بتصرف عن العامية المصرية):

"كانت القاعدة تأخذ مواقف قوية ضد الشيعة قبل 9 / 11، لما حصل 9/11.. تغير الموقف منهم، وهذا حصل باتفاق صريح بين مسؤول اللجنة الشرعية في تنظيم القاعدة وبين المخابرات الإيرانية في مدينة زاهدان الإيرانية وهي على الحدود بين أفغانستان وباكستان وإيران.. على أن تأتي كل العائلات إلى إيران"³⁹.

³⁵ ينظر مقالته بالانكليزية على موقع الجزيرة الانكليزية " [Assad's strategic use of ISIL made his victory in Syria possible](#) "

³⁶ ينظر التقرير: [How the Soleimani Strike Impacts Syria and the Fight Against ISIS](#)

³⁷ ينظر تقرير الجزيرة: "سقوط الموصل".. تقرير يكشف اللغز.

³⁸ قال العدناني في تصريحه "وظلت الدولة الإسلامية تلتزم نصائح وتوجهات شيوخ الجهاد ورموزه؛ ولذلك لم تضرب الدولة الإسلامية الروافض في إيران منذ نشأتها، وتركت الروافض أميين في إيران، وكبخت جراح جنودها المستشيطين غضباً، رغم قدرتها آنذاك على تحويل إيران لبرك من الدماء، وكظمت غيظها كلّ هذه السنين تتحمل الثّم بالعمالة لألّد أعدائها إيران لعدم استهدافها، تاركّة الروافض ينعمون فيها بالأمن امتثالاً لأمر القاعدة للحفاظ على مصالحها وخطوط إمدادها في إيران"، ينظر الحديث عن تصريحه ومزيد من الاضواء على علاقات "داعش" والقاعدة بإيران في كتاب: الفكر الإسلامي بين النظرية والتطبيق - د. عماد الدين الجبوري.

³⁹ ينظر مقابلة سيد امام على قناة الآن: <https://www.youtube.com/watch?v=3J2NPC48pK8>

من الجدير ذكره بأن الحديث عن التوظيف والاستثمارات الخارجية في الجماعات المتطرفة كداعش وما شابهها لا يلغي أو يقلل من أهمية ودور العوامل الموضوعية والذاتية والمختلفة المتمثلة بغياب الحريات وترسخ الديكتاتوريات وشيوع المظالم والتعذيب في السجون⁴⁰.

⁴⁰ من المعروف أن فكر الغلو نما تاريخياً في السجون المصرية تحت ضغط التعذيب الذي تم ممارسته من قبل سلطات نظام جمال عبد الناصر على الإسلاميين، مؤخراً، أصدر مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان تقريراً بعنوان "[كالنار في البشيم: نمو التطرف العنيف داخل السجون المصرية](#)"، وفيه يتحدث التقرير عن تأثير ممارسات التعذيب في تغذية التجنيد والانتماء لداعش، ويطرح عدداً من التوصيات المتعلقة بهذا الأمر.

الخاتمة:

تبدو الظروف مهيأة إلى حد ما لعودة زيادة نشاط تنظيم "داعش"، على اعتبار أن التنظيم يمكن أن يستفيد من حالات الفوضى كبيئة مناسبة حاضنة لنشاطاته وعملياته، وهو الأمر الذي تتجه له الأمور في المنطقة تحت تأثير أسباب عدة، أولها انتشار فيروس كوفيد 19، إضافة إلى الظروف السياسية المتمثلة بعدم التوافق الأمريكي الإيراني عموماً بعد الانسحاب الأمريكي من الملف النووي الإيراني، وما أدى إليه ذلك من مناوشات بين الطرفين كان أبرزها حادثة مقتل سليمان.

على الرغم من وجود تأثير لعدة عوامل ذاتية أو خارجية في نشاط التنظيم، يبدو بأن عامل التأثير والاستثمار الخارجي هو الأكبر والأوفر حظاً في تحديد شدة عودة التنظيم، فعلى الرغم من الفرص الذاتية المتاحة للتنظيم لاستخدام الهوامش التي تتيحها ظروف انتشار الكوفيد 19، إلا أن استقرار الصعود الماضي لداعش يشير غالباً إلى أن التأثير الأكبر هو للعوامل الخارجية، خاصة ما حدث في مدينة الموصل من هجوم للتنظيم وحصوله على الأسلحة والأموال الطائلة، إضافة إلى حالات هروب السجناء المتطرفين من السجون العراقية، والتي تؤكد العديد من التقارير والتحقيقات على وجود اهمال متعمد من قبل الحكومة العراقية في ذلك الوقت، بهدف اعطاء الفرصة للتنظيم للصعود بهدف اجهاض الحراك الشعبي في العراق وحتى في سوريا.

ويدعم ذلك ما أشار له عدد من الباحثين، مما هو ملاحظ من تناقض الايديولوجيا المتطرفة التي يحملها التنظيم مع ثقافة المجتمعات المحلية المعتدلة، بل بلغ تطرف ايديولوجيا التنظيم حد التناقض مع أصول الايديولوجيا المتطرفة التي ولد من رحمها، والمصطلح عليهما ب"السلفية الجهادية"، مما يؤكد غرته وانفصاله عن ثقافة المجتمعات المحلية، إضافة إلى ما يكاد يجمع عليه الباحثون المراقبون من مختلف التيارات من وجود تدخل خارجي يدعم صعود التنظيم وأشباهه بهدف الاستثمار السياسي، وتشير اصابع الاتهام إلى ايران والنظام السوري كأحد أهم المستثمرين للتنظيم وأشباهه كأدوات لنشر الفوضى وزعزعة استقرار المنطقة بهدف الضغط على الفاعلين الآخرين لقبول أدوارهم كجزء من الحل باعتبارهم مالكين لأصول مسببة لزعزعة الاستقرار، وقادرين على التحكم بها واضعافها عند رغبتهم.

تتسق ملامح التوجهات السابقة مع تغيرات في لهجة التعامل مع التنظيمات الأقل تطرفاً نسبياً من أمثال "هيئة تحرير الشام" ضمن أروقة بعض صناعات القرار أو المقربين منهم، باعتبار أن "هيئة تحرير الشام" تحوز بنية أمنية قادرة على التعامل مع المجموعات الأكثر تطرفاً⁴¹، خاصة مع وجود بقايا لجماعات يمكن أن تحتضن بعض الخلايا النائمة لتنظيم "داعش" في الشمال السوري.

⁴¹ الملاحظ مثلاً قيام منظمة أزمات الدولية بعمل مقابلة مع زعيم "هيئة تحرير الشام" الجولاني بالتزامن مع الانزياح في خطاب "هيئة تحرير الشام" نحو الثورية (ينظر مقالة لوحدة تحليل السياسات في مركز الحوار السوري بعنوان "قراءة في بيان "هيئة تحرير الشام" الأخير حول اتفاق موسكو"، كما أُلح تقرير لاحق لمنظمة أزمات بعنوان "إسكات البنادق في ادلب السورية - Silencing the Guns in Syria's Idlib" إلى إمكانية التعامل مع "هيئة تحرير الشام" باعتبارها طرفاً مفيداً في القضاء على جماعات "الجهاد العالمي" بما فيها "بقايا داعش".